



**الاتجاه الأنثوميثودولوجي كأحد البدائل الإنسانية للوضعية
جذوره ورؤيته لطبيعة الإنسان والواقع الاجتماعي
(دراسة تحليلية وصفية)**

د. الطاهر سعد علي ماضي*
قسم علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة بني وليد، بني وليد، ليبيا

**The Ethnomethodological Trend as One of The Humanistic
Alternatives to Positivism
Its Roots and Vision of Human Nature and Social Reality
(Descriptive Analytical Study)**

Dr. Altaher Saad Ali Madi *

Department of Sociology, Faculty of Arts, Bani Waleed University, Bani Walid, Libya

*Corresponding author

altahermadi@bwu.edu.ly

*المؤلف المراسل

تاريخ النشر: 2024-02-10

تاريخ القبول: 2024-02-04

تاريخ الاستلام: 2023-12-12

الملخص

هذه الدراسة هي دراسة تحليلية وصفية لأحد الاتجاهات الحديثة والمعاصرة للنظرية الاجتماعية في علم الاجتماع، وهذا اتجاه المناهج الشعبية (الأنثوميثودولوجي). وقد كانت الدراسة بغرض التعريف بهذا الاتجاه وبمفاهيمه وقضاياها الأساسية وكذلك لمعرفة كيف يصور هذا الاتجاه طبيعة الإنسان وقدراته وبرؤيته وتصوره للواقع الاجتماعي، كل ذلك من أجل إمكانية توظيفه كإطاراً مرجعياً تصورياً لتفسيرياً لدراسات اجتماعية مستقبلية وكذلك لكي تكون هذه الدراسة إضافة إلى المكتبة الجامعية وإلى تراكم البحث العلمي للنظرية الاجتماعية في علم الاجتماع.

الكلمات المفتاحية: الأنثوميثودولوجيا، النظرية الاجتماعية، طبيعة الإنسان، الواقع الاجتماعي.

Abstract

This study is an analytical and descriptive study of one of the modern and contemporary trends in social theory in sociology, which is the trend of popular approaches (ethnomethodology).

The study was to introduce this trend and its basic concepts and issues, as well as to find out how this trend depicts human nature, capabilities, vision, and perception of social reality, all for the possibility of employing it as a conceptual and interpretive frame of reference for future social studies, as well as for this study to be an addition to the university library and to the accumulation of scientific research. For social theory in sociology.

Keywords: Ethnomethodology, Social Theory, Human Nature, Social Reality.

مقدمة:

يعد الاتجاه الأثنوميثودولوجي من الاتجاهات الحديثة والمعاصرة في علم الاجتماع وقد بدأت الدراسات الاجتماعية التي اعتمدت على هذا الاتجاه النظري خلال ستينيات القرن الماضي، ويمكن القول إن هذا الاتجاه أو المنظور لا يزال غير واضح وغامض إلى حد كبير حيث إنه يتضمن بعض المفاهيم والتركيبات اللغوية التي تعد في غاية الصعوبة استناداً إلى صعوبة جذوره الفكرية الفلسفية وبخاصة الفلسفة الظاهرية والتفاعلية الرمزية، وإلى تلك التساؤلات والقضايا النظرية الجديدة وغير المعهودة في علم الاجتماع التي أثارها هذا الاتجاه والمتعلقة بتصوره لطبيعة الإنسان وقدراته وكذلك رؤيته للواقع الاجتماعي بشكل عام، إضافة إلى رؤية هذا الاتجاه النقدية وموقفه من الاتجاهات النظرية الأخرى. وعلى ما سبق فإن موضوع هذه الدراسة هو محاولة فهم واستيعاب هذا الاتجاه بشكل عام والتعرف على الافتراضات والمسلمات والقضايا الأساسية التي ينطلق منها وتوضيح مدى مساهمته في التطور النظري لعلم الاجتماع وكلك التعرف على المناهج المستخدمة في الدراسات الأثنوميثودولوجية، كل ذلك لإمكانية الاستفادة من هذا الاتجاه كإطاراً تصورياً ونظرياً في الدراسات الاجتماعية.

أولاً: إشكالية الدراسة:

ترجع إشكالية الدراسة إلى ذلك الغموض والتداخل وعدم الوضوح والصعوبة في مفهومات وصياغات الاتجاه الأثنوميثودولوجي كأحد الاتجاهات النظرية في علم الاجتماع وإلى حدائته ومن ثم كيفية توظيفه التوظيف الأمثل في الدراسات الاجتماعية بحيث يتم الانطلاق من افتراضات ومسلمات واضحة ومحاولة استبعاد المضامين الأيديولوجية لإمكانية الوصول إلى نتائج واقعية ذات فائدة تعود على الإنسان والمجتمع.

ثانياً: أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في أهمية فهم واستيعاب البدائل النظرية الحديثة في علم الاجتماع كإطاراً مرجعياً للاهتمام بالنظام الاجتماعي ومتطلباته انطلاقاً من الاهتمام ببناء الفعل في ثنايا اللغة التي تعد الوسيط للتفاعل الاجتماعي. كما تتأني أهمية هذه الدراسة في الكشف عن العلاقات المعقدة بين التفكير والعقل والربط بينهما من خلال المحادثات والأبنية التي تقوم عليها باعتبارها طريقاً للوصول إلى الظواهر الاجتماعية التي ينبغي على الباحث الاجتماعي دراستها.

ثالثاً: أهداف البحث:

- 1- التعرف بالاتجاه الأثنوميثودولوجي كأحد الاتجاهات الحديثة والبديلة في النظرية الاجتماعية المعاصرة.
- 2- التعرف على المفاهيم والأفكار الأساسية للاتجاه الأثنوميثودولوجي.
- 3- التعرف على تصور هذا الاتجاه للواقع الاجتماعي.
- 4- التعرف على رؤية وتصور هذا الاتجاه لطبيعة الإنسان وقدراته.

رابعاً: تساؤلات الدراسة:

- 1- ما الاتجاه الأثنوميثودولوجي وما هي جذره الفكرية؟
- 2- ما أهم مفاهيمه التي ينطلق منها؟
- 3- كيف تصور هذا الاتجاه للنظام أو الواقع الاجتماعي؟
- 4- ما رؤية هذا الاتجاه للإنسان وطبيعته؟

خامساً: مفاهيم ومصطلحات الدراسة:

1- الأثنوميثودولوجي Ethnomethodology

صك هذا المصطلح عالم الاجتماع الأمريكي هارولد جار فينكل وقد قدم تفسيراً الأصول هذا المصطلح بقوله إن كلمة أنثو تدل بطريقة أو أخرى نوع من المعرفة البديهية أو الإدراك العام والمتاحة لعضو الجماعة عن مجتمعه في شتى المناحي.⁽¹⁾

ويتكون مصطلح الأنثوميثودولوجي Ethnomethodology من مقطعين من الكلمة اليونانية (ethno) التي تعني الشعب أو الناس أو القبيلة أو السلالة، أما المقطع الآخر ميثودولوجي (methodology) فيشير إلى المنهج أو الطريقة⁽²⁾، ومن ثم يمكن ترجمة هذا المصطلح إلى دراسة المناهج الشعبية أو الطرق التي يستخدمها الناس في صياغة وتشكيل الحقيقة الاجتماعية.⁽³⁾

سادساً: الدراسات السابقة:

1- الدراسات الأجنبية:

أ- دراسة Harold Garfunkel بعنوان: أصول مصطلح الأنثوميثودولوجيا 1968، كانت هذه الدراسة في أعمال مؤتمر بوربو حيث قام جارفينكل بتحليل مفصل للأساليب التي يستخدمها الناس في حياتهم اليومية لتفسير أنشطتهم (وجعلها مفهومة) سواء لأنفسهم أو للآخرين.⁽⁴⁾

إضافة إلى مجموعة من الدراسات الأخرى عن الاتجاه الأنثوميثودولوجي والتي سبق وأن قام بها (جارفينكل) عام 1967 والتي تم نشرها في كتابه (دراسات في الأنثوميثودولوجيا).⁽⁵⁾

ب- دراسة Jhon H. Goldthorpe 1973 بعنوان: A Revolution in sociology وهي دراسة نقدية جادة للاتجاه الأنثوميثودولوجي عنوانها: (هل هي ثورة في علم الاجتماع؟).

ج- دراسة James S. Coleman 1968 بعنوان:

Review of Garfunkel's Book: Studies in ethnomethodology

وتعد هذه الدراسة أيضاً من أكثر الدراسات النقدية للاتجاه الأنثوميثودولوجي.

د- دراسة Enthyony giddens and jonathans turner 1987 بعنوان النظرية الاجتماعية المعاصرة social theory today وفي هذا الكتاب مجموعة من الدراسات المعاصرة حول الاتجاه الأنثوميثودولوجي.

هـ- دراسة Aron Cicourel 1973 بعنوان: Cognitive Sociology وقد جاول من خلال كتابه علم الاجتماع المعرفي ربط الاتجاه الأنثوميثودولوجي بعلم الاجتماع التقليدي.

و- دراسة Anthyeny Giddens 1976 بعنوان New Rules of Sociological Method قواعد جديدة للمنهج في علم الاجتماع، وقد بينت هذه الدراسة أن قواعد الكلام وكذلك الأفعال ذات أهمية أساسية للنظام الاجتماعي.

2- الدراسات العربية:

يمكن اعتبار دراسة كل من:

1- سمير نعيم أحمد، النظرية في علم الاجتماع 1981 وترجمته لمصطلح الأنثوميثودولوجي (بالمناهج الشعبية) من الدراسات العربية التي تطرقت لهذا الاتجاه وإلى قضاياها ومناهجها الأساسية.

2- دراسة طلعت إبراهيم لطفى بعنوان: المداخل النظرية في دراسة التنظيم 1985 وكذلك دراسته المعنونة ب: المنظور الأنثوميثودولوجي ومدى إسهامه في تطوير نظرية علم الاجتماع المعاصر 1986 من الدراسات العربية الرائدة والمفيدة في معرفة الاتجاه الأنثوميثودولوجي بشكل عام.

3- دراسة علي عبد الرازق حلبي بعنوان: الاتجاهات الأساسية في نظرية علم الاجتماع.

4- دراسة أحمد زايد 1981 بعنوان: علم الاجتماع بين الاتجاهات الكلاسيكية والنقدية.

5- دراسة طلعت إبراهيم لطفى وكمال عبد الحميد الزيات 1999 بعنوان: النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، حيث عرضت هذه الدراسة الاتجاه الأنثوميثودولوجي عرضاً قيماً في إطار عرضها للمداخل والتطورات المعاصرة للنظرية الاجتماعية.

التعقيب على الدراسات السابقة:

بالرغم من قلة الدراسات النظرية حول الاتجاهات المعاصرة في علم الاجتماع وبخاصة العربية منها فإن هذه الدراسة حاولت الاستفادة من كل ما كتب حول الاتجاه الأثنوميثودولوجي بعد قراءة متأنية حاول الباحث من خلالها فهم واستيعاب مفاهيمه وقضاياها الأساسية وفيما يتمحور، وكذلك الترجمات المختلفة للمصطلح والرؤية النقدية له عند بعض الدراسات وخاصة الأجنبية منها، وما يميز هذه الدراسة هو تركيزها على البحث في هذا الاتجاه تحديداً دون الخوض في بقية الاتجاهات الأخرى المعاصرة له إلا بالإشارة إلى تلك التي كانت ممهدة لنشأته وظهوره كاتجاه نظري في دراسة الإنسان والمجتمع، كل ذلك بغرض الاستفادة منه كإطاراً مرجعياً وتصورياً لدراسة اجتماعية مستقبلية وإسهاماً في إثراء النظرية الاجتماعية لعلم الاجتماع.

مدخل عام:

لكل فكر أصوله القديمة، ينطبق ذلك على الفكر الأثنوميثودولوجي المعاصر في علم الاجتماع، فلقد كان هذا الاتجاه بديلاً من البدائل التي تم طرحها في المدرسة الأمريكية لعلم الاجتماع في مواجهة البنائية الوظيفية باعتبارها نظرية وحيدة ممثلة لعلم الاجتماع الأمريكي فمع حلول الستينيات وقعت أحداث اجتماعية كبيرة داخل المجتمع كحركة الطلاب والسود وترتب عليها تغيير في الموقف من الاتجاه البنائي الوظيفي وتغير في الموقف الأكاديمي بوجه عام، حيث ظهرت الحاجة إلى اتجاهات نظرية جديدة لتوجيه البحث السوسيولوجي. فلقد أصبح خارجياً للاتحاد السوفييتي قوة هائلة وكبيرة، وامتدت الاشتراكية لتشمل مساحات كبيرة من العالم إضافة إلى تضخم قوة السود في أمريكا وسحب تأييدهم للقيادات السياسية القومية الأمريكية، وظهرت حركات تنادي بالحقوق المدنية والحرب على الفقر وحركات الشباب واليسار الجديد، كل ذلك دفع باتجاه البحث عن بدائل نظرية جديدة تهتم بالإصلاحات الاجتماعية وتغير الظروف إلى ما هو أفضل والقضاء على التوترات الاجتماعية والصراعات ومواجهة الضغوط التي تمارسها الجماعات المحرومة من السود والعمال والفقراء والمهمشين، لقد سادت حالة من السخط بين علماء الاجتماع الشبان في أمريكا تبلورت نتائجها في تكوين حركات راديكالية ومواقف نقدية للصورة شبه الأيديولوجية للنظرية البنائية الوظيفية بالذات باعتبارها نظرية تبريرية للنزعة المحافظة، وتتابع البحث عن اتجاهات نظرية جديدة.

من بين تلك البدائل النظرية المعاصرة الفكر الأثنوميثودولوجي الذي تزامن ظهوره مع تلك الأحداث سالفة الذكر ومعبراً عنها، ويعد هارولد جارفنكل Harold Gafinkel مؤسساً لهذا الاتجاه والذي وتحصل على شهادة الدكتوراه من جامعة هارفارد عام 1925 ونشر مجموعة من المقالات تم جمعها وإصدارها في مجلد عام 1967 بعنوان دراسات في الأثنوميثودولوجي.

المبحث الأول

جدور الفكر الأثنوميثودولوجي ومفاهيمه التي نطلق منها

تأثر جرفينكل بالفلسفة الظاهرية عند صياغته للمصطلح، وعلى ذلك فإن هذا الاتجاه يكون قد قام على أسس فلسفية وتحديداً فلسفة الظواهر phenomenology أو الفينومولوجية كما تترجم بالعربية وهي مبحث فسفي أماط به المفكرون مهام متباينة: نقد المعرفة الحسية (كانط)، بسط تشكل فلسفة أو دراسة أشكال الوعي (كما في فيتومينولوجيا الروح) عند هيجل، وصف الظواهر النفسية (برنتانو) وهي مذهب فلسفي مثالي، أسسه هوسرل في أوائل القرن العشرين، ينصب على أشكال الوعي وظواهره في ارتباطها بموضوعها⁽⁶⁾، كما ترجع الجذور الفكرية لهذا الاتجاه إلى التفاعلية الرمزية symbolic interactionism أو يمثل أحد اتجاهاتها المعاصرة كما يرى (ولاس) W.L.Walaace وفيما يتعلق بتأثر الفكر الأثنوميثودولوجي بالمدرسة الظاهرية أو الفينومولوجية فإن (جارفنكل) Garfinkel قد استمد أفكاره من أفكار تلك المدرسة التي تأسست على فلسفة (أدموند هوسرل) Edmund Husserl وفلسفة (ألفريد شوتز) Alfred Schutz تلك الأفكار الفلسفية التي ترى أن معرفة الإنسان للعالم الفيزيقي إنما تتم عن طريق خبرته الذاتية وأن خبرة الإنسان الذاتية هي التي تمكنه من إدراك حقيقة الأمور

والأشياء ومن ثم يجب تجاهل مسألة الواقع الموضوعي حتى يمكن توجيه الاهتمام للواقع كما يوجد في الشعور. فالظاهرة موضوع الدراسة هي التي تعبر عن نفسها بشكل مباشر في الشعور. أما مشكلة العوامل المحددة للنظام الاجتماعي العام أو التغيير الاجتماعي، فهي تعد خارج الاهتمامات الأساسية لأصحاب مدرسة فلسفة الظواهر.⁽⁷⁾

كذلك فإن وسيلة فهم العالم هي الوعي، بمعنى آخر أن وعي الإنسان بالموضوع هو ما يحقق الفهم الذاتي كما يرى أصحاب الفكر الفينومينولوجي، وأن ما يدركه العقل البشري عن طريق الخبرة والشعور هو جوهر الأشياء، كما أن المجتمع موجود بقدر وعي وشعور وإدراك الأفراد لوجوده. ويتضح تأثير الفكر الأثنوميثودولوجي باتجاه التفاعلية الرمزية من خلال تركيز اهتمامه بتحليل الوحدات الاجتماعية الصغرى واهتمامه بالشخصية والوعي والشعور والإدراك وكذلك التفاعل بين الأفراد والجماعات ودراسة العمليات الاجتماعية، بحيث جعل من الذات وحدة التحليل الأساسية في الدراسات الاجتماعية، واتفق الاتجاهان كذلك على أن الإنسان هو من يقوم بصياغة وتشكيل الواقع الذي يعيش فيه من خلال عملية التفاعل التي تضمن الشعور والوعي والإدراك والخبرة الذاتية. فإذا ما كانت المعرفة البديهية أو الإدراك العام لعضو الجماعة عن مجتمعه تدور مثلاً حول النباتات المحلية فإنها سوف تتعلق – على نحو ما – بمعرفته وفهمه بالطرق الملائمة للتعامل مع كافة شئون النبات، وقد قاد هذا الاهتمام (جارفينكل) إلى القيام بتحليل مفصل للأساليب التي يستخدمها الناس في حياتهم اليومية لتفسير أنشطتهم (وجعلها مفهومة) سواء لأنفسهم أو للآخرين، ويقدم (جارفينكل) تعريفاً شديداً للإيجاز للدراسات التي أجراها باعتبارها: ((تستهدف معرفة كيف تتكون الأنشطة العادية والفعالية لأفراد المجتمع من أساليب لجعل الأعمال العملية والظروف العملية والمعرفة البديهية بالبناء الاجتماعي والتفسير السوسولوجي العملي فاعلاً للتحليل))⁽⁸⁾.

وينهض الاتجاه الأثنوميثودولوجي أيضاً على الفلسفة اللغوية وفلسفة (فيتجنش) فيما أصبح يعرف باسم (المرحلة اللغوية) في الفلسفة التي شهدت تعاظم اهتمام فلسفة القرن العشرين بطبيعة اللغة والاستخدام اللغوي، حيث يرى الأثنوميثودولوجيون أن الحياة الاجتماعية والظواهر والعلاقات الواضحة الاستقرار التي تتجلى فيها تلك الحياة إنما تمثل إنجازاً مستمراً يتحقق عن طريق استخدام اللغة، فاللغة شيء نشترك جميعاً في إبداعه ونعيد إنتاجه بشكل مستمر، ولعل هذا هو السبب في بناء الكلمة، حيث يشير مقطع ology إلى دراسة أثنو ithno إلى الناس أو الجماعة ومنهج method أو طريقة إلى طرق صنع النظام الاجتماعي.⁽⁹⁾

يتضمن هذا الاتجاه أيضاً مفاهيم أخرى أساسية تم تطويرها منها:

أ- مفهوم الفعل المنعكس Reflexive action:

الذي يشير إلى أن كثيراً من أنماط التفاعل التي تحدث بين أعضاء المجتمع تهدف إلى المحافظة على رؤية معينة للحقيقة الاجتماعية التي قاموا بتشكيلها في مواقف محددة، ونجد أن كثيراً من أنماط التفاعل بين أعضاء المجتمع تعتبر أفعالاً منعكسة، فالكلمات والإشارات والإيماءات التي نستخدمها أثناء عملية التفاعل تهدف إلى المحافظة على رؤية معينة للحقيقة الاجتماعية وتستخدم في تشكيل وتفسير وإعطاء المعاني للعالم الاجتماعي.

ب- مفهوم البيئة المرتبطة بالمعنى:

وهو يشير إلى أن التفاعل المتبادل بين أعضاء المجتمع يتضمن معان تدركها عقولهم مباشرة وهي معان تفوق دلالتها ومغزاها ما قد تدل عليه إشارة أو كلمة أو عبارة في حيث متبادل بينهم، ومن ثم فإن الإشارات أو الكلمات أو العبارات التي ترسل أو تستقبل أثناء عملية التفاعل بين أعضاء المجتمع يكون لها معان ترتبط بموقف معينة أو بيئة أو ظروف معينة، ومن الصعب تفسير عملية الاتصال الرمزي بين الأعضاء المتفاعلين دون الحصول على بعض المعلومات عن هذا الموقف أو البيئة أو الظروف، مثل التعرف على السير الذاتية للجماعات المتفاعلة، وأهدافها المعلنة، وخبراتها الماضية، وعندما نذهب إلى القول بأن تعبيراً معيناً يعد تعبيراً موقفياً، فإن هذا يشير إلى أن معنى هذا التعبير يرتبط بموقف أو بيئة أو ظروف معينة، ومن خلال مفهومي الفعل المنعكس والبيئة المرتبطة بالمعنى حاول أصحاب الاتجاه الأثنوميثودولوجي التعرف على كيفية قيام أعضاء المجتمع باستخدام الإشارات والكلمات والعبارات في

تشكيل العالم الاجتماعي الذي يعيشون فيه ونجد أن ممثلي هذا الاتجاه لم يتركز اهتمامهم حول التعرف على حقيقة اجتماعية معينة أو على محتويات هذا العالم الاجتماعي، بل حول المناهج أو الطرق التي يستخدمها أعضاء المجتمع لتشكيل رؤية معينة للحقيقة الاجتماعية والمحافظة عليها أو تغييرها.⁽¹⁰⁾ من الأفكار الأساسية للاتجاه الأنثوميثودولوجي التي تعد بمثابة نقد للاتجاهات الراديكالية لعلم الاجتماع.

أ- فكرة الإشارة: والتي تعني عدم وجود تعريف شامل وكامل وواضح لأي كلمة أو مفهوم إلا من خلال الإشارة والإحالة إلى كلمات أخرى وإلى الموضوع والسياق الذي يتم التحدث فيه. وقد كلف جارفينكل طلابه بإجراء بحوث ميدانية في هذا الإطار كان من نتائجها أن الناس هي من تخلق الإحساس بالمعنى وبالوجود في الحياة الاجتماعية.

ب- فكرة الانعكاسية: وتعني أن الإحساس بالنظام يتأكد من خلال المحادثة وأثناء الكلام، بمعنى آخر أن الناس حين تصف الموقف هي تخلقه في الوقت ذاته.

ج- التموية (التفسير) Glossing: بمعنى تجنب القضايا الخلافية في الحياة اليومية، حيث يرى أصحاب هذا الاتجاه أن كل حديثنا هو نوع من التموية فلا يمكن التعبير عن الموضوعات تعبيراً مباشراً حيث يتم استخدام العديد من القواعد المسلم بها مثل قاعدة (هلم جراً) وقاعدة (فيما عدا الظروف المعقولة)

المبحث الثاني

تصور الاتجاه الأنثوميثودولوجي للواقع الاجتماعي ولطبيعة الإنسان وقدراته

1- تصوره للواقع الاجتماعي:

يعد الاتجاه متفرداً بتصوره للواقع الاجتماعي بالرغم من اقترابه الفكري من التفاعلية الرمزية أو الاتجاه الرمزي والتفاعلي عموماً ويتركز هذا التفرد في أن هذا الاتجاه يقوم على تحليل الطرق التي تحدث بها الناس فيما بينهم وخلال حياتهم اليومية حيث توجه سلوكهم العقلانية والرشد والاتفاق. وأن المحافظة على النظام الاجتماعي العام يتم باستخدام أفراد المجتمع بعدة طرق وإجراءات منهجية تجعلهم يشعرون بالحقيقة الاجتماعية الخارجية، وأن الاتفاق على تلك الإجراءات والطرق هو ما يشكل معنى الواقع الاجتماعي، وأنها أي تلك الطرق والإجراءات معقدة ويتم اتخاذها بشكل شعوري وأحياناً لا شعوري.

((وتقوم نظرية هذا الاتجاه حول الإجراءات التي تكوّن الحقيقة الاجتماعية لكنه ليس نظرية حول حقيقة اجتماعية معينة))⁽¹¹⁾.

يتصور هذا الاتجاه أيضاً أن تلك القواعد التي تؤثر في سلوك الأفراد أثناء التفاعل الاجتماعي وخاصة غير المكتوبة هي من الموضوعات بالغة الأهمية وينبغي الاهتمام بها والانطلاق منها، وأن كل المواقف الاجتماعية بالغة الأهمية ويجب عدم التقليل من شأن أي موقف أو محادثة أو كلمة مهما كانت بسيطة من القضايا الأساسية في تصور الاتجاه الأنثوميثودولوجي للواقع الاجتماعي هو وصفه لكيفية صياغة أعضاء المجتمع للمفاهيم حول المواقف المتعددة أثناء التفاعل، وعلى ذلك فإن الحقيقة الاجتماعية هي عملية مستمرة من التفسير وهي عملية متغيرة بتغير المواقف وعدم ثباتها. معنى ذلك أن هذا الاتجاه يركز اهتمامه على التغيير الاجتماعي على مستوى الأنساق الصغرى قلما اهتمت النظريات الكلاسيكية مستوى الوحدات والأنساق الكبرى.

من مسلمات هذا الاتجاه أيضاً أن كثيراً من المعايير والقواعد الاجتماعية ليست معروفة بشكل واضح لأفراد المجتمع لأنهم يتعاملون معها كأشياء مسلم بها، وعليه لابد من إثارة التساؤلات حول أبنيتها للكشف عن الإجراءات والطرق والوسائل التي يستخدمها الناس لجعلها قابلة للفهم والتفسير بالنسبة للآخرين.

فالتعرف على الجوانب الخفية للحياة الاجتماعية كما يقول جارفينكل والتي لا نشعر بها لأنها مألوفة هي مهمة ووظيفة عالم الاجتماع ويكون ذلك بمخالفة القواعد وبطريقة مفاجئة لمعرفة الجوانب المألوفة التي تختفي وراء السلوك إذ أن مخالفة المؤلف تكشف عن وجوده.⁽¹²⁾

مما سبق يمكن أن نقول إن الاتجاه الأثنوميثودولوجي وفي رؤيته للواقع الاجتماعي أنه يراه واقعياً ديناميكياً متغيراً وأنه يركز على الوحدات الصغرى وعلى عملية التفاعل ويرى أنها هي ما يمثل الحقيقة الاجتماعية وأن الانطلاق من الذات والأفراد هو السبيل للنظام الاجتماعي وتغييره إلى الأفضل.

2- رؤية وتصور لاتجاه الأثنوميثودولوجي للإنسان وقدراته:

الإنسان من الوحدات الصغرى التي أولت الاتجاهات المعاصرة الاهتمام بها وبالفعل والتفاعل الاجتماعي وبإدراك الإنسان للحياة وبصنعه للحقيقة الاجتماعية والذي لم تعطه الأولوية النظرية الكلاسيكية الراديكالية حيث تركز تحليلها وربطها وتفسيرها للوحدات الكبرى وعلى مستوى البناء الاجتماعي والنظم الاجتماعية المختلفة.

ويعد الاتجاه الأثنوميثودولوجي ومن خلال تحليل أفكاره ومفاهيمه الأساسية أنه يتصور الإنسان فاعلاً إيجابياً في الحياة الاجتماعية من خلال وعيه وإدراكه وتشكيله للواقع الاجتماعي بشكل عام. فالإنسان لا يكون في كل الحالات خاضعاً لفعل القوى الخارجة وبشكل مستمر، إنما هو فاعل من خلال مواقفه وحياته اليومية ومحادثاته وصياغته وإعادة صياغته للحياة في جوانبها المختلفة.

كذلك يتصور هذا الاتجاه أن الإنسان عقلاني في كل تصوراته وأفكاره وأفعاله، وأنه يضيف المعاني على كل مناشطه، وهو بذلك يعطي المعنى الحقيقي لما يسمى بالنظام العام فهو – أي الإنسان – صانعاً للواقع الاجتماعي وليس نتاجاً له، كما أن ما يوجه سلوك الإنسان هي مناهج عقلية ورشيده، ولذلك يرى مؤسس هذا الاتجاه ومنظره أن هناك مجالات عديدة تظهر فيها أنماط السلوك الرشيدة، فهو يميز بين الفرد العادي الذي أطلق عليه (المنظر العلمي) practical theorist وبين الباحث الذي أطلق عليه (المنظر العلمي) scientific theorist وقد حدد جارفينكل أنماط السلوك الرشيدة للفرد العادي كالتالي:

- 1- عندما يقوم بعملية التصنيف والمقارنة بين الناس والأشياء.
- 2- عندما يزن الأمور أو يقوم بتقدير الأخطاء المحتملة.
- 3- عندما يبحث عن الوسائل التي تحقق أهدافه.
- 4- عندما يحلل البدائل والنتائج.
- 5- عندما يستخدم استراتيجيات معينة في مواجهة أمر من الأمور.
- 6- عندما يهتم بالتوقيت، تقدير قيمة الوقت.
- 7- عندما يتنبأ بالأحداث التي قد تقع في المستقبل.
- 8- عندما يستخدم قواعد إجراء معين.
- 9- عندما يشرع في الاختيار.
- 10- عندما يستعمل معايير مقررته عند شروعه في الاختيار.

أما أنماط السلوك العقلاني للباحث (المنظر العلمي) فهي كالتالي:

- 1- عندما يطابق بين الأهداف ووسائل تحقيقها من خلال المعايير المقررة.
- 2- عندما يهدف إلى الوضوح والتمييز بين الأشياء حتى يتجنب الوقوع في الخطأ.
- 3- عندما يهدف إلى الوضوح والتمييز بين الأشياء كهدف في حد ذاته.
- 4- عندما يحاول التوفيق بين تحديده لموقف معين وبين المعرفة العلمية. (13)

خاتمة الدراسة

خلصت الدراسة إلى أن الاتجاه الأثنوميثودولوجي أصبح من الاتجاهات المسلم بها في علم الاجتماع وأن جهود الباحثين ما زالت متصلة لتطوير هذا الاتجاه، وأن ملامحه ومفاهيمه وقضاياها الأساسية أصبحت تتضح شيئاً فشيئاً بالرغم من صعوبة جذوره الفلسفية، وقد كون صورة واضحة لرؤيته لطبيعة الإنسان وقدراته وكذلك للواقع الاجتماعي، كما أن هذا الاتجاه ليس نسخة طبق الأصل للتفاعلية الرمزية وإن أخذ عنها بعض من تصوراتها بل أصبح اتجاهات خاصاً ومتفرداً، وأن اهتمامه بالوحدات الصغرى هو اهتمام يتشارك فيه مع الاتجاهات النظرية الحديثة والنقدية للاتجاهات الكلاسيكية القديمة، وهو بديلاً نظرياً يمكن الاعتماد عليه كإطاراً مرجعياً في توجيه الكثير من البحوث الاجتماعية، وبخاصة

تلك التي تعتمد على محاولة الكشف عن تلك العلاقات الإنسانية الحقيقية المعقدة بين التفكير والعقل والربط بينهما من خلال الأبنية المعرفية والمحدثات الحاصلة في الحياة اليومية، باعتبارها حقيقة اجتماعية، وباعتبارها أيضاً طريقاً للوصول إلى الظواهر الاجتماعية التي يتطلب توجيه الباحثين الاجتماعيين لدراستها.

إن المعرفة البديهية والإدراك العام للإنسان حول مجتمعه يمكن أن يكون نقطة انطلاق بحسب ترجمة هارولد جارفينكل لمصطلح الأثنوميثودولوجي لدراسة الإنسان والمجتمع على السواء. إن الحياة الشعبية بكل تفاصيلها ورؤيتها وبنائها تتطلب منهجاً شعبياً يمكن من الغوص في تفاصيلها لإدراك تلك الحقيقة الاجتماعية الواقعية، وهو ما يهدف إليه هذا الاتجاه الحديث والذي يناسب العديد من المجتمعات والثقافات حول العالم ومنها المجتمعات الشرقية والعربية والمجتمع الليبي على وجه الخصوص.

إن قضية الوعي وفكرة الفهم الذاتي وموضوع الخبرة والشعور أصبحت من الموضوعات والأفكار اللازمة لمعرفة الإدراك الحقيقية الاجتماعية كما تبدو لأفراد المجتمع وكما تبدو في إدراكهم هم أيضاً، كما أن الاهتمام بالشخصية وبتفاعلها وبالسلوك وكافة العمليات الاجتماعية أصبحت من الوحدات التحليلية الأساسية التي يمكن الاعتماد عليها في الوصول إلى نتائج حقيقة واقعية عند دراسة الظواهر الاجتماعية وهو ما يعتمد عليه الاتجاه الأثنوميثودولوجي في توجيه دراساته.

وعلى ما سبق يرى الباحث أن الدراسة حققت أهدافها في التعريف بالاتجاه وبجذوره الفكرية وكذلك بمفاهيمه وقضاياها الفكرية وتوصلت إلى معرفة تصوره لطبيعة الإنسان وقدراته وبتصوره للواقع الاجتماعي وكيفية تشكله وصياغته، والتي تعتمد في أساسها على ذلك الإنسان الواعي بذاته والمتفاعل مع الآخرين، والواعي بموضوعاته، وأن المجتمع بحق هو موجود بقدر وعي وشعور وإدراك الأفراد لوجوده.

المراجع

1. جوردن مارشال – موسوعة علم الاجتماع – المجلس الأعلى للثقافة – المشروع القومي للترجمة – ترجمة محمد الجوهري وآخرون – المجلد الأول – الطبعة الأولى 2000 – ص 88.
2. Broom Leonard, Selznick, Philips & Darroch, Dorothy Sociology: A text with adapted readings, N, Y: Harper & Row, Publishers 1981.P.120
3. TIMASHEF, Nicolas S, & Teodorso, George A, Sociological Theory Its Nature and Growth, New York Random House 1976 p30
4. Harold Garfinkel " The Origins of the Term Ethnomethodology in: R.J.Hill and K. S. Crittenden (eds), Proceedings of the Purdue Symposium on Ethnomethodology, 1968
5. Harold Garfinkel, Studies in Ethnomethodology 1967.
6. ناتاليا يفريموفا – توفيق سلوم – معجم العلوم الاجتماعية ومصطلحات وأعلام دار التقدم – الطبعة الأولى بيروت 1992 ص 443
7. Jonalthana M Turner "The Structure of Sociological Theory. Illinois: The Dorsey press .1982 pp 390 339
8. جوردن مارشال، مرجع سابق، ص 88.
9. المرجع السابق، ص 89.
10. Turner Jonathan .H, The structure of Sociological theory. Illinois: The Dorsey Press, 1982.p406
11. Mehan, H., H& Wood, H., The reality of Ethnomethodology. N.Y.: Wiley.1971. p.114
12. Gouldner, Alvin the coming crisis of western Sociology. London: Heineman ,1971, p562.
13. Garfinkel, Harold, Studies in Ethnomethodology. Englewood Cliffs, N. J: PrenticeHall. 1967.pp96-103.